Coptology

الموعظة على الجبل

ما بين الإدانة والنقد

دراسة روحية ونقدية

مهندس

فؤاد نجيب يوسف

٢٠١٦

www.coptology.org

الموعظة على الجبل

ما بين الإدانة والنقد

دراسة روحية ونقدية

م. فؤاد نجيب يوسف

† **ما بين الإدانة والنقد** ٧:١- ٢٠

- **الإدانة** (٧:١- ٦)
- **افعلوا ما تريدوا أن يفعل الناس بكم** (مت ٧:١٢)
- **الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان** (٧:١٥- ٢٠)

في المقاطع السابق شرحها لموعظة الجبل، قدم الرب يسوع منهجا روحيا أكد فيه على حرية الفرد كأساس روحي للإنسان الجديد. الإصحاح السابع يعرض العمل الروحي لإنسان الملكوت ليقيم بيته على الصخر. ومن خلال ذلك يضع أساس العلاقة مع الآخر. بقدر حرص الرب فيما سبق على تأكيد حريتنا، في هذا الفصل يضع القواعد لاحترامنا لحرية الآخر.

+ لا تدينوا (٧:١- ٦)

إدانة الأخر هي اعتداء على حريَّته **وامتهان** لحقّه في اختيار فعله دون قيد. إن كان الله يحترم حريتنا، ولا يفرض علينا إرادته رغم أخطائنا، فيلزم أن نحافظ على حرية الآخر. في الإدانة إخضاع الآخر لقياساتي التي تحتمل الخطأ، ورؤيتي التي تقيد حركته، وتُخضِع الإنسان لعبودية الآخر. إن مراقبة خطأ الآخر طبقا لقياساتي الشخصية، أمر لا يضر الآخر وحده بل يضرني ويضر المجتمع كله. إنه يجعل من الآخر مجرد موضوع يخضع لخبرتي المحدودة. خطية الإدانة تعتبر من **أسوأ** الخطايا لأنها تجعل الإنسان يعمل حسابه لأقوال الناس دون اعتبار للحق الإلهي والضمير فيفقد الإنسان حريته ويلجأ للنفاق. دافع الإدانة إما الكبرياء أو الغيرة أو الحسد حيث لا يريد الإنسان أن يكون هناك من هو أفضل منه. وهي تُعوَّق الآخر عن إصلاح نفسه بسبب نظرة الناس له وتلك هي العثرة في **أسوأ** صورها.

هناك إنسان بطبيعته يريد أن يلغي وجودك فتشعر أنه يرقب سلوكك باستمرار لينتقد تصرفاتك ويتدخل في شئونك، "قد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيدا للناس"(١كو ٧:٢٣). لقد خلقني الله حرا بإمكانات ضخمة لأكون صاحب قراري في أموري الشخصية، كما للآخر حق اتخاذ قراراته بحرية. فلا ينبغي أن أفرض رأيي على قرار الأخر وسلوكه حتى بيني وبين نفسي. لماذا أفترض قواعد أحاسب الناس عليها. الإدانة هي خطية المتدينين والرؤساء إنها خطية الفريسي الذي يري في نفسه البر فيحاسب الناس طبقا

لمقاييسه الشخصية. رغم أن الفريسي لا يضبط نفسه فهو يحاسب الناس طبقا لرؤيته المحدودة. يطلب الكمال في غيره الذي فشل في أن يحققه في نفسه طبقا لقياسات غير مؤكد سلامتها. بذلك يرى الإنسان نفسه باراً في عيني نفسه بينما هو فاشل في جهاده وقيادة نفسه للحرية، "ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها".

الإدانة تعتبر من أخطر الخطايا التي تُفقد الإنسان قدرته على رؤية الحق في حياته الشخصية. من ينتقد الناس في كل شيء يسقط بسهولة في نفس الخطأ بطريقة أسوأ. إن وجدت نفسك معذبا بضعف أو خطية لا تستطيع الشفاء منها فقد يرجع السبب لأنك لا ترحم من لسانك الخطاة بهذه الخطية، "لأن الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة والرحمة تفتخر على الحكم" (يع ٢:١٣). الإدانة هي حكم، يرتد عليك يا من تدين، ويرفع عنك رحمة الله، فتسقط في الخطية التي تدين **أخاك** عليها، "لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم". فالحكم بلا رحمة لمن لا يرحم. من يقيم نفسه رقيبا على الآخرين يفشل في رؤية نفسه "جعلوني ناطورة الكروم أما كرمي فلم أنطره" (نش ١:٦). حارس الكرم يسهر فوق الأبراج للحراسة بالنهار والليل، بينما يرقب كرم الناس لا يجد وقتا لكرمه. "أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك وها الخشبة في عينك. يا مرائي أخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك". يري العالم "Lightfoot"[1] أن، "يا مرائي" يقصد بها المسيح الفريسيين. عبارة "لا تدينوا لكي لا تدانوا" كانت مثلا يردده الرابيون ليحموا أنفسهم من نقد الناس، فاستخدمه المسيح ضدهم ليحمي الخطاة من أحكامهم القاسية، وإدانتهم المرة. اليوم عدنا لنستخدم الآية لحماية الفريسي حتى يجد الفرصة ليهاجم الخطاة من خلف واقي قوي يحميه من النقد.

حديث الرب يسوع في الموعظة على الجبل لا يخص السلوك المجتمعي بل يُركِّز على الفرد، بينما وصايا الإصحاح ١٨ من الإنجيل تخص المجتمع. الإدانة حسب فكر المسيح هو حكم على سلوك شخصي، لكن لو كان ذلك السلوك له تأثير على مسئولياتي نحو المجتمع؛ مثلا يضر بعائلتي أو بمجتمع أنا عضو فيه، فمسئوليتي تلزمني أن أواجه الخطأ. يقول السيد المسيح (إصحاح ١٨)، "وإن أخطا **إليك** أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما إن سمع منك فقد ربحت أخاك" (مت ١٨:١٥). واضح أن

---

[1] CLARKE'S COMMENTARY NT, VOLUME 5, *by Adam Clarke* p. 158
Books for the Ages, AGES Software, Albany, Version 2.0 © 1996, 1997

الخطأ موجه إليك بشكل شخصي أو خطأ موجه لمجتمع أنت عضو فيه. إن تجاهل مثل هذا الخطأ يضر ليس بي فقط بل بمن أخطأ إليَّ، فواجب المحبة يقتضي أن أنبه أخي أولا بيني وبينه. ولو رفض عتابي فهناك مراحل أخرى ذكرها السيد المسيح (مت ١٨:١٥-٢٢). هذه ليست إدانة.

الإدانة تهدف للتشهير على المستوى الشخصي بدافع الغيرة أو الحسد او البغض، أما على مستوي المجتمع فكل واحد مسئول، ويلزم أن يحاسب ليكون أمينا في مسئولياته، طبقا لواجبه الوظيفي. ويلزم أن يتوقع حكم المجتمع عليه ومحاسبته على أي تقصير فيما يقدم من عمل. لا يوجد من يكبر على المحاسبة بل كلما كبرت مسئولية الإنسان تكون محاسبته ضرورية. وحتى لو كان الشخص يقوم بعمل تطوعي فهو ملتزم أمام المجتمع بأن يقدم عملا كاملا، والمحاسبة لا تعتبر إدانة. كل من يعمل مطالب بأن يقدم حسابا أمام الناس والله عن عمله، وله الحق في الدفاع عن خدمته بقدر ما المجتمع له الحق أن يسائله دون أن نعتبر ذلك إدانة. "فإني أقول لكم أيها الأمم بما أني أنا رسول للأمم أمجد خدمتي" (رو ١١:١٣).

القديس بولس الرسول تعرض للمسائلة عن تعليمه، وواجبه الرعوي، وما يجمع من أموال ليرسل مساعدات لأورشليم. فكان يتوخى الشفافية والحرص، فيُشرك آخرين حتى لا يكون هناك ريبة أو شك، "ومتى حضرت فالذين تستحسنونهم أرسلهم برسائل ليحملوا إحسانكم إلى أورشليم. وإن كان يستحق أن أذهب أنا أيضا **فسيذهبون معي**" (١كو ١٦:٣-٤)**.** وكم مرة كان موضع شك وتساؤل، فدافع عن نفسه في مناسبات متعددة. "ألست أنا رسولا ألست أنا حرا أما رأيت يسوع المسيح ربنا ألستم أنتم عملي في الرب. إن كنت لست رسولا إلى آخرين فإنما أنا إليكم رسول لأنكم أنتم ختم رسالتي في الرب. هذا هو احتجاجي عند الذين يفحصونني. (١كو ٩:١-٣ مع باقي الإصحاح). وأيضا، (٢كو ١٣:٣ ، ٦ و ٢كو ٦:٣- ٥). القديس يوحنا ذهبي الفم له كتاب عن مواضع ضعف القديس بولس، مع أنه كان يعشق كتاباته. وهو حديث ليس فيه إدانة لكنه تعليم روحي مفيد!

لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا دركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم (مت ٧:٦)**.** يختتم المسيح حديث الإدانة بعبارة تبدو مناقضة لحديثه السابق. التعليم عن الإدانة لا يعني إنكار أو تجاهل حقيقة الشر أو التقليل من بشاعته، لكن الهدف هو عدم التدخل في حرية الآخر كما يعاملنا الله حتى عندما نخطئ. في نفس الوقت يلزم أن يكون لنا موقف واضح حتى نتجنب أضرار شر الأشرار. المسيح يُحذِّر من الذين يهاجمون مقدَّساتنا. يصفهم بالكلاب والخنازير لأنهم يرفضون استخدام العقل، فنجاسة

فكرهم تمنعهم من رؤية الحق. المقدسَّات تغيظهم، لأنهم أسلموا لذهن مرفوض فيتكلمون بالكراهية لحق المسيح. "ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يُحكم فيه روحيا" (١كو ١٤:٢). لذلك يجب تجنب طرح أسرار الروح لمن يرفضها. الحوار بدون حكمة مع غير المؤمن يسيء اليوم جدا للمقدَّسات، فيلزم عدم مناقشتها مع من يجهلها، "وأما المباحثات الغبية والأنساب والخصومات والمنازعات الناموسية فاجتنبها لأنها غير نافعة وباطلة" (تي ٩:٣). وإن كان يضايقك أن يهاجم أحد مقدَّساتك فلا تهاجم ما يراه غيرك مقدسا.

+ فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم لأن هذا هو الناموس والانبياء (مت ١٢:٧).

بهذا التعليم يقدم الرب خلاصة علاقة المسيحي بالآخر، ويُكمِّل الحديث عن الإدانة. عندما يضع الإنسان نفسه في موضع الأخر فذلك سلوك إنساني حضاري يعصم الإنسان ويصحح مشاعره من نحو الآخر، فيقبله بواقعية وعدل ويحبه. تصحيح الرؤية للآخر تعمل على وحدة الجماعة.

+ الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان (٧:١٥-٢٠)

في آخر الموعظة يطرق السيد المسيح علاقة الفرد بالمجتمع. وعندما يقول لا تدينوا فهو لا يلغي حق الإنسان في التمييز والاحتراز من السلوك المعادي. فبعد أن يشجب خطية الإدانة ينبه، "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان". الاحتراز ليس إدانة بل وصية المسيح التي تُحتِّمها المشاركة المجتمعية. الخلط بين الاحتراز والإدانة أمر يفسد السلوك الفردي ويضر بالمجتمع جدا، حيث النفاق والتغطية على الشرور، مما يثير الخداع ونشر الفساد في المجتمع تحت غطاء ديني. عدم الإدانة لا يعني أن يلغى الإنسان عقله وقدرته على التمييز بين الخير والشر كضرورة إنسانية في التعامل سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي، "لا تكن بارا كثيرا ولا تكن حكيما بزيادة لماذا تخرب نفسك"(جا ١٦:٧). المبالغة في مظهر البر يخرب النفس. عدم **التمييز** لما يضمره الشرير أمر يتنافى مع الحكمة، "ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام" (مت ١٦:١٠). المسيح وهو يرسل خرافه بين الذئاب يستودعهم الحكمة والتمييز لينقذهم من الذئاب ليس بالسذاجة.

المسيح لم يقل لا تدينوا ليحمي الشرير والمغامر لينفث شره في المجتمع الكنسي دون محاسبة، بل الهدف هو أن يحمي الفرد في ضعفه، من تشهير المجتمع به ليعطيه فرصة للتوبة والرجوع عن الخطأ بحرية (المرأة

الخاطئة). كما أنه يقول احترزوا من الأنبياء الكذبه ليحمي المجتمع من شرور الفرد؛ من الانتهازي، من المعلمين الكذبة، والقادة طالبي المنفعة. في العهد القديم والجديد على السواء هناك تحذيرات كثيرة وشديدة من الأنبياء الكذبة الذين يأتون في ثياب الحملان لابتزاز المجتمع وإفساد حريتنا في المسيح، "ولكن بسبب الإخوة الكذبة المدخلين خفية الذين دخلوا اختلاسا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا" (غل ٢:٤). في المجال الديني فرصة لاستغلال البسطاء تحت شعارات دينية وباسم الله. مقاومة هؤلاء ضرورة لا يمكن أن نعتبرها إدانة، فتركهم يعبثون يشكل خطرا على المجتمع الكنسي. "ويل للقائلين للشر خيرا وللخير شرا الجاعلين الظلام نورا والنور ظلاما الجاعلين المر حلوا والحلو مرا" (اش ٥:٢٠).

الرب يسوع يضع علامات واضحة لنميز بها الأنبياء الكذبة، "من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنبا أو من الحسك تينا". يقول القديس يوحنا "أيها الأولاد لا يضلكم أحد من يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار. من يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطئ" (١يو ٣:٧-٨). القاعدة واضحة، فمن يفعل الخطية هو من إبليس بغض النظر عن منصبه ووضعه الديني، فلا يوجد مجال للمحاباة والتغاضي عن الشر مجاملةً للمنصب الديني. لا يضلكم أحد، فمن يخالف هذه القاعدة مضلل. الكشف عن الثمر للتمييز ليس إدانة لكنه تنفيذ وصية المسيح المؤيدة برسائل بولس ويوحنا لذلك يكرر المسيح **"فإذا من ثمارهم تعرفونهم"**. "مبرئ المذنب ومذنب البريء كلاهما مكرهة الرب" (ام ١٧:١٥).

الرب يسوع الذي أوصي إلا ندين هو نفسه الذي يعطي علامات المعلمين الكذبة حتى نميزهم ونحذرهم ونُجَنِب الكنيسة خطرهم. فالكشف عن المعلمين الكذبة وأعمالهم الشريرة ليس إدانة، بل هو تنفيذ للوصية من أجل الحفاظ على قدسية الكنيسة. لذلك يقول السيد المسيح، "لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا رديئة". من يصنع أثمارا رديئة تقبله الكنيسة كخاطئ وتدعوه للتوبة، لا كمعلم وقائد حيث يصير ذئبا في ثوب حمل. فيلزم رفض وصاية هؤلاء على الكنيسة وتعليمهم، وأن نميزهم لنتجنبهم. يقول القديس بولس، "فاعزلوا الخبيث من بينكم" (١كو ٥:١٣).

بدون النقد الواعي تسقط الإنسانية تحت تأثير الجشع وأنانية الفرد التي تقود المجتمعات للضياع بالفساد. النقد والمحاسبة يصححان مسار المجتمع نحو الأفضل فيتحقق التقدم المستمر. إن أخطر ما يمكن أن يتعرض له مجتمع هو توقف النقد وتعويق محاسبة المسئولين خصوصا إذا استخدمت في ذلك شعارات دينية مضلّلة تخاطب عواطف الشعب لتمنعه

من استخدام العقل. كان عمل الأنبياء الرئيسي هو نقد المجتمع خصوصا الملوك والكهنة، وذلك كان لازما لتصحيح مسيرة المجتمعات القديمة، لتجنب الكوارث الناتجة عن الفساد. ولقد تعرض أنبياء العهد القديم جميعا لجميع أنواع الإهانات والتجريح والتشكيك والرفض، بل والتعذيب والقتل في أداء رسالتهم الناقدة. ولقد قام السيد المسيح بذلك الدور، فكان نقده للفساد المجتمعي هو الطريق إلى الصليب. وكل من يتبع المسيح بالحق فالصليب حتمي الذي يتجنبه الكثيرون بالنفاق والرياء.

الخلط بين النقد وبين الإدانة أمر خطير، فبقدر ما النقد ضروري بدونه تفسد المجتمعات، بقدر ما الإدانة عمل هادم مُدمِّر للفرد والمجتمع. المفروض أن أهداف النقد نبيلة، بينما الإدانة عمل ضد المحبة، ينتج عن؛ الغيرة، الحسد، البغض، الطمع، حب التسلط، الكبرياء، حب التشهير. بينما دافع النقد هو الشعور بالمسئولية نحو المجتمع بدافع المحبة، وينتج عن الشعور بالانتماء والرغبة في الإصلاح. هدف المحاسبة هو منع الفساد والتسيب. من الطبيعي أن نرى الأب ينقد ابنه ويحاسبه لأنه يُحبُه ويريد له النجاح وحياة أفضل. على المستوى الشخصي من ينقد نفسه ويحاسبها ينجح. المدرس يصحح أخطاء التلميذ ليعلمه فينجح. مهام القاضي ورجل البوليس تتركز في انضباط وتصحيح مسار المجتمع. إن فسد جهاز المحاسبة ينتج عنه كارثة اجتماعية، لذلك يقول الكتاب، "حيث لا تدبير يسقط الشعب أما الخلاص فبكثرة المشيرين" (أم ١١:١٤). لذلك ظهر الأنبياء، وكان واجبهم تصحيح مسار الملوك والكهنة بالنقد الذي كان لاذعا.

بينما الرب يسوع يحنو على المرأة الخاطئة، "فقال لها يسوع ولا أنا أدينك اذهبي ولا تخطئي أيضا" (يو ٨:١١)، كان يوبخ الفريسيين ويصب عليهم الويلات، "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون" (مت ٢٣:١٣). يقول الرب يسوع "تعلموا مني" وبولس يقول "كونوا متمثلين بي كما أنا أيضا بالمسيح" (١كو ١١:١). المسيح وبولس قدوة لنا في كل شيء بما في ذلك النقد لتصحيح المسار. اليوم من يحاول أن ينبه للأخطاء التي تفسد المجتمع الكنسي يجد مقاومة شديدة، لذلك يقول القديس يوحنا "لا يضلكم أحد". بولس الرسول ويوحنا المعمدان وأثناسيوس لم يدعو قديسين إلا لأنهم قاموا بما فعلوه. ما كان لأثناسيوس أن **يدعى** رسوليا ما لم يعلن الإيمان القويم للعالم وهو شماس صغير. ووقف ضد الأباطرة والعالم ونُفي خمس مرات. أما بولس فيقول، "قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان وأخيرا قد وضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم

الرب الديان العادل وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضا" (٢تي ٤:٧–٨). من يتمثل ببولس وأثناسيوس يصير مثلهما. فلا يضلكم أحد.

القديس بولس يقول، "ولكن لما أتى بطرس إلى إنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفا من الذين هم من الختان. وراءى معه باقي اليهود أيضا حتى أن برنابا أيضا انقاد إلى ريائهم. لكن لما رأيت انهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع إن كنت وأنت يهودي تعيش أمميا لا يهوديا فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا" (غل ٢:١١-١٤). لقد كان بولس أصغر الرسل ولم يرى المسيح بالجسد بينما بطرس كان من أعمدة الكنيسة. فعندما سلك بطرس سلوكا يتنافى مع حق الإنجيل واجهه بولس بكل قوة دون تردد ليصحح سلوك خاطئ. وماذا كان موقف بطرس؟ قبول النقد بوداعة فيتكلم بكل الحب عن بولس، إن ذلك يعكس عظمة وشموخ المسيحية في أمانتها للحق؟ فحق الإنجيل يحكم كل شيء دون اعتبار لمكانة الشخص وموقعه كائنا من كان حتى لو كان بطرس الرسول نفسه. المجاملة على حساب الحق ليست تقوى كما يفهم البعض لكنها خيانة لحق الإنجيل، نلبسها شكل البر، باستخدام آيات الكتاب في غير موضعها بقصد التغطية على الخطأ.

إن مهمة النقد لا ينبغي أن تكون مفتوحة بلا ضابط. ولكن إن سكت المسئولين والعقلاء على الخطأ فحتما سيتكلم من لا يعلم بسبب صمت من يعلم، وهنا الخطر. يلزم عودة ظهور أراخنة الشعب، حيث لا ينبغي أن يتخلوا عن واجبهم المقدس في الإصلاح والنقد لتصحيح مسيرة الكنيسة. يلزم العودة للتقليد المقدس في محاسبة المسئولين طبقا للقانون الكنسي (الدسقولية وقوانين المجامع) لإنقاذ ما تبقى لنا. إن المحاسبة وإعمال القانون لا تعني فقد الثقة بل احترام النظام والعمل المجتمعي بشكل يضمن الأداء الجيد وحفظ حقوق للجميع.